أثر العقيدة الإسلامية في مواجهة أزمة السعادة المعاصرة للعباد في ضوء الثقافة والتحولات الفكرية المعاصرة

The impact of Islamic doctrine in addressing the contemporary crisis of happiness for believers in light of contemporary culture and intellectual transformations

إعداد

أ.م.د. فراس فاضل فرحان المحمدي

التدريسي في المديرية العامة لتربية محافظة الأنبار

العنوان الالكتروني: dr.firasf.f79@gmail.com

رقم الهاتف: ٧٧٢٥٠٨٣١٧٧

Preparation

Assistant Professor Dr. Firas Fadhil Farhan Al-Muhammadi

Teaching at the General Directorate of Education in

Anbar Governorate

ملخص البحث باللغة العربية

يتناول هذا البحث مفهوم السعادة من منظور العقيدة الإسلامية، ويقارن بينه وبين التصورات السائدة في الثقافة المعاصرة، موضحًا أثر الإيمان بالله تعالى في تحقيق السعادة الحقيقية والطمأنينة النفسية، في ظل التحولات الفكرية والمادية الحديثة.

وقد أحتوى البحث مبحثين: المبحث الأول: اختص بالإطار المفاهيمي للعقيدة الإسلامية والسعادة، وفيه مطلبين، أما المبحث الثاني: فقد اختص في بيان أثر العقيدة الإسلامية في مواجهة أزمة السعادة في الثقافة المعاصرة، وفيه أربعة مطالب.

الكلمات المفتاحية: (أثر العقيدة، أزمة، السعادة، في ضوء، الثقافة، المعاصرة)

ملخص البحث باللغة الإنكليزية

This research examines the concept of happiness from the perspective of Islamic doctrine, comparing it with prevailing notions in contemporary culture. It clarifies the impact of faith in God on achieving true happiness and psychological tranquility amidst modern intellectual and material transformations.

The research comprises two sections: the first section focuses on the conceptual framework of Islamic doctrine and happiness, containing two subsections; the second section explores the impact of Islamic doctrine in addressing the crisis of happiness in contemporary culture, containing four subsections.

Keywords: (Impact of belief, crisis, happiness, in light of, contemporary culture)

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ونبينا محمد، وعلى آل بيته الأطهار، وصحبه، وسلم تسليما كثيرا، وبعد...

فبعد أن مَنَّ الله تعالى علينا وتوكلي عليه، شرعت بكتابة هذا البحث الموسوم **(أثر العقيدة الإسلامية في مواجهة أزمة السعادة المعاصرة للعباد في ضوء الثقافة والتحولات الفكرية المعاصرة)**، الذي يتناول دراسة أزمة السعادة المعاصرة في عصرنا اليوم لكل إنسان في هذا العالم؛ لتأثرها بالثقافة والتحول الفكري الذي غزا كل البلاد والإسلامية خاصة، وبيان أثر العقيدة الإسلامية في إسعاد الشعوب، فهي الأساس للسعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة.

- **أهمية وأهداف البحث:**

تكمن أهمية البحث في تحقيق السعادة الحقيقية لكل إنسان، فقد أصبحت السعادة من أكثر المفاهيم تداولًا في الخطاب الإنساني المعاصر، إلا أن هذا التداول اتسم بالاضطراب المفاهيمي، نتيجة

هيمنة الرؤية المادية على الفكر الحديث، ويهدف هذا البحث إلى بيان دور العقيدة الإسلامية في تصحيح مفهوم السعادة وتحقيق التوازن النفسي والروحي للإنسان.

- **هيكلية خطة البحث:**

لقد اقتضت خطة الدراسة أن تقسم بعد هذه المقدمة على مبحثين، جعلت المبحث الأول: يتناول الإطار المفاهيمي للعقيدة الإسلامية والسعادة، وقد أشتمل على مطلبين: المطلب الأول منها: أختص بمفهوم العقيدة والسعادة في اللغة والاصطلاح، بينما جعلت المطلب الثاني: يتضمن العلاقة بين العقيدة والسعادة في التصور الإسلامي، أما المبحث الثاني: فقد أختص ببيان أثر العقيدة الإسلامية في مواجهة أزمة السعادة في الثقافة المعاصرة، وقد تضمن أربعة مطالب، المطلب الأول: تطرق على السعادة في الثقافة المعاصرة وأثرها على الفرد والمجتمع، والمطلب الثاني: تضمن العقيدة الإسلامية وبناء المعنى في حياة الإنسان، بينما المطلب الثالث: تضمن ذكر نماذج معاصرة للسعادة الوهمية وتأثرها بالثقافة والتحولات الفكرية المعاصرة، للتمثيل لا الحصر، والمطلب الرابع: ذكرت فيه أبرز الحلول والمعالجات لأزمة السعادة المعاصرة في ضوء العقيدة الإسلامية، ومن ثم يعقب كل ذلك خاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج وأبرزها، ومن ثم المصادر والمراجع .

وأخيرا... اسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع كل من يقرأه، وأن يغفر لي الخطأ والزلل إن قصرت فيه.

المبحث الأول

الإطار المفاهيمي للعقيدة الإسلامية والسعادة .

المطلب الأول

مفهوم العقيدة والسعادة في اللغة والاصطلاح.

أولا: تعريف العقيدة في اللغة والاصطلاح:

١ –**العقيدة لغة:** وهي من (عقد) فالعين والقاف والدال أصل واحد، يدل على شد وشدة وثوق، فالعقيدة مأخوذة من عقد، بمعنى الرَّبط بقوَّة وإحْكام، فإن أصل العقد نقيض الحل، ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم(١).

٢ – **العقيدة اصطلاحا:** وهي ما ينعقد عليه فؤاد العبد والجزم به؛ ولا يتطرَّق إليه ريب في ذلك، وهو علم العقائد: الذي يعد العلم الذي يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية عن طريق إيراد الحجج، ودفع الشبهة عنها(٢) .

ثانيا: تعريف السعادة في اللغة والاصطلاح:

١- **السعادة لغة:** وهي نقيض الشقاء، مشتقة من السعد واليُمن، وتدل على نيل الخير والبهجة، فمنه قولك: سعد الرجل من باب سلم فهو سعيد(٣).

٢- **السعادة اصطلاحا:** هي معاونة الله تعالى للإنسان على نيل الخير وتضاد الشقاوة، وهي حالة نفسية ووجدانية تشمل الرضا، الفرح، الطمأنينة، وإشباع الرغبات، وتُعرف

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (٨٦/٤) مادة [عقد]، ولسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور: (٢٩٦/٣) مادة [عقد]، وتاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي: (٣٩٤/٨) مادة [عقد] .

(٢) ينظر: المواقف، عضد الدين الإيجي:(٣١/١)، وشرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين التفتازاني: (١/ ٧) ، ولوامع الأنوار البهية ، السفاريني:(٤/١–٥).

(٣) ينظر: مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله الرازي: (١٤٨)، والكليات ، أبو البقاء الكفوي: (٥٠٦) .

كرفاهية ذاتية وتقييم إيجابي لجودة الحياة، وتتنوع بين السعادة الدنيوية المؤقتة، والسعادة الأخروية الدائمة[١].

وعرفت أيضا السعادة بأنها: تهذيب النفس باجتناب الرذائل وتزكيتها عنها، واكتساب الفضائل والتحلي بها[٢] .

وعرفت أيضا: بأنها حالة من الرفاهية العاطفية، تشمل المشاعر الإيجابية كالفرح والرضا، فهي شعور، يشمل طيفاً واسعاً من المشاعر الإيجابية، من الرضا إلى الفرح العميق[٣].

المطلب الثاني

العلاقة بين العقيدة والسعادة في التصور الإسلامي

إن العلاقة بين العقيدة والسعادة في منظور التصور الإسلامي ليست علاقة عادية وعابرة بل هي علاقة جذرية وتكاملية ومتماسكة الروابط؛ إذ أن العقيدة ليست مجرد معتقدات ذهنية وقلبية، بل هي منظومة حياة تصوغ رؤية الإنسان للوجود، وتمنحه الطمأنينة والمعنى والاستقرار النفسي، ويمكن تلخيص هذه العلاقة في النقاط الآتية:

أولًا: العقيدة الإسلامية تمنح الإنسان معنى الوجود: وذلك لأن أهم المهمات للعبد أن يستنير قلبه بمعرفة الربوبية، ثم بمعرفة العبودية؛ لأنه إنما خلق لرعاية هذا العهد وهو الإيمان بالله تعالى الذي يجيب عن الأسئلة الكبرى التي تراود كل إنسان: من أنا؟ ولماذا خُلقت؟ وإلى أين المصير؟، فكان الجواب على ذلك بقوله تعالى:﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾[٤]، فالعبد المؤمن يعيش وفق غاية واضحة، وهذا يولّد الرضا الداخلي ويمنع الضياع الوجودي الذي يعانيه كثير من الناس اليوم[٥].

---

(١) ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: (٤٣٠/١) .

(٢) ينظر:التعريفات ، للشريف الجرجاني: (٤٣٠/١) .

(٣) ينظر: موقع https://en.wikipedia.org .

(٤) سورة الذاريات، الآيات: (٥٦-٥٨) .

(٥) ينظر: مفاتيح الغيب، للفخر الرازي: (٢٢٩/١) .

ثانيًا: العقيدة مصدر الطمأنينة القلبية: وذلك لأن مصدر السعادة في الإسلام تبدأ من القلب، إذ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[١]، أي: تسكن، وتستأنس بتوحيد الله سبحانه وتعالى، فتطمئن قلوبهم على الدوام بذكر الله ﷻ بألسنتهم، واليقين بحكمة الله ﷻ يخفف القلق والخوف من المستقبل، ويمنح النفس سكينة لا توفرها الماديات[٢] .

ثالثًا: العقيدة تحرر الإنسان من العبوديات الزائفة: العقيدة الصحيحة تحرر الإنسان من عبودية المال، والشهوة، والناس، والمظاهر، فالمؤمن لا يجعل سعادته رهينة بما يملك، بل بما يؤمن به، وهذا سرّ الاستقرار النفسي الحقيقي، وأدلة ذلك كثيرة سأذكر دليل من القرآن الكريم، وأخر من السنة النبوية، للتمثيل لا الحصر، وهي قوله تعالى:﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ٦٤﴾[٣]، فإن التوحيد ليس مجرد اعتقاد، بل تحرير الإنسان من تأليه البشر والسلطات والأهواء، فنبهنا الله تعالى بهذه الآية على طريق التعبد، وأن لا نقصد بسرنا سواه عند عبادته، ولا نفزع في شيء من الحاجات إلى غيره[٤]، ومن السنة النبوية قول الرسول صلى الله عليه وسلم: « تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس... »[٥]، وهنا قد سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبدا؛ لأنه خضع للمال، فهنا دلالة على أن التوحيد يحرر من عبودية المادة، فهنا الحديث فيه ذم مَنْ فتنه متاع الدنيا الفاني، وتعِس قيل: معناه هلك، وقيل: التعس: أن يخر على وجهه[٦] .

---

(١) سورة الرعد، الآية: (٢٨) .

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي=، أبو عبد الله القرطبي: (٣١٥/٩) .

(٣) سورة آل عمران، الآية: (٦٤) .

(٤) ينظر: تفسير الراغب الاصفهاني: (٦١٤/٢) .

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في سبيل الله: (٣٤/٤) رقم: (٢٨٨٦).

(٦) ينظر: شرح صحيح البخارى ، لابن بطال: (١٦٠/١٠)

رابعًا: العقيدة تبني الرضا والصبر والأمل: فإن الإيمان يزرع في النفس: (الرضا عند النعم، والصبر عند البلاء، والأمل عند الشدائد)، قال تعالى:﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴿٩٧﴾﴾[١]، والحياة الطيبة تشمل السعادة النفسية والطمأنينة الروحية قبل أي رفاه مادي، ففي الحياة الدنيا قد يعيش عيشا طيبا، فإنه إذا كان موسرا فظاهر، وإذا كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة، وتوقع الأجر العظيم في الآخرة، بخلاف من كفر فإنه إذا كان معسرا فظاهر، وإذ كان موسرا لم يدعه الحرص، وخوفه على أن يفوته شيء أن يتهنأ بعيشه[٢].

خامسًا: السعادة في الإسلام شاملة في الدنيا والآخرة: فإنه ليست سعادة مؤقتة أو جسدية فقط، بل: سعادة القلب بالإيمان، وسعادة النفس بالأخلاق، وسعادة المجتمع بالقيم، وسعادة الآخرة بالجنة، ولهذا كان الدعاء القرآني الجامع:﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴿٢٠١﴾﴾[٣]، فإنها قد جمعت كل خير في الدنيا، وصرفت كل شر، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية، ودار رحبة، وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء، وثناء جميل إلى غير ذلك، وهذه كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا، وأما الحسنة في الآخرة، فأعلى ذلك من دخول الجنة، وما يتبعه من الأمن من الفزع الأكبر في تلك الأهوال، وتيسير الحساب،وغيرها من أمور الآخرة الصالحة[٤].

فخلاصة الكلام فيما سبق يتبين لي بأن التصور الإسلامي يعتبر أن العقيدة هي الأساس، والسعادة هي الثمرة، فكلما صحّت العقيدة، استقامت النفس، وهدأ القلب، واستقرت الحياة، وبالتالي يكون الإنسان اسعد الناس في الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة النحل ، الآية: (٩٧) .

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين: (٢٣٩/٣) .

(٣) سورة البقرة، الآية: (٢٠١) .

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: (٤١٦/١) .

المبحث الثاني

أثر العقيدة الإسلامية في مواجهة أزمة السعادة في الثقافة المعاصرة

المطلب الأول

السعادة في الثقافة المعاصرة وأثرها على الفرد والمجتمع

تُعد السعادة من أكثر المفاهيم تداولًا في الثقافة المعاصر، غير أن هذا الحضور الكثيف لا يعكس وضوحًا بقدر ما يكشف عن أزمة وجودية يعيشها الإنسان في عصرنا اليوم، فقد تشكّل مفهوم السعادة ضمن سياق فلسفي مادي فرداني، أسهم في اختزال الإنسان في بعده النفسي والجسدي، وإقصاء البعد الروحي والغيبي، وفي مقابل ذلك، يقدم الإسلام تصورًا عقديًا شاملًا للسعادة، يقوم على الإيمان بالله، وتحقيق العبودية، والطمأنينة القلبية، والتوازن بين مطالب الدنيا والآخرة، وإليك بعض المفاهيم لثقافة بعض الناس لمفهومهم للسعادة ومقابلتها بما تقررها العقيدة الإسلامية، وهي كالآتي:

أولًا: النفعية وتعظيم اللذة في مقابل الطمأنينة الإيمانية: إذ ترتكز الفلسفة النفعية على مبدأ تعظيم اللذة وتقليل الألم، وترى أن السعادة تتحقق من خلال إشباع الرغبات وتحقيق المتع الحسية، وقد انعكس هذا التصور على الإنسان المعاصر، فبات يقيس جودة حياته بمقدار ما يملك ويستهلك، غير أن هذا النموذج أنتج سعادة هشّة، مرتبطة بالظروف الخارجية، تزول بزوالها، مما أفضى إلى تصاعد القلق والاكتئاب، وفي المقابل نجد أن الدين الإسلامي يقرر أن السعادة الحقيقية تنبع من الداخل، من صلة القلب بالله، إذ قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴿١٨﴾﴾[1]، أي: تسكن، وتستأنس بتوحيد الله ﷻ، فتطمئن قلوبهم دوما بذكر الله ﷻ بألسنتهم، وهذا كله سيخفف القلق والخوف من المستقبل، ويمنح النفس سكينة لا توفرها الماديات[2]، فإن أساس السعادة هي الطمأنينة القلبية وليست اللذة العابرة، وقال النبي

---

(١) سورة الرعد، الآية: (٢٨) .

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي=، أبو عبد الله القرطبي: (٣١٥/٩) .

ﷺ: « ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»[١]، وهذا الحديث يؤسس لمفهوم السعادة الداخلية المستقلة عن الامتلاك المادي، فليس مفهوم حقيقة الغنى هو ما كان عن كثرة متاع الدنيا؛ لأن كثيرا ممن وسع الله ﷻ عليه في المال قد يكون فقير النفس لا يقنع بما أعطى، لذا تجده يجتهد دائبا في الزيادة، ولا يبالى من أين يأتيه، وإنما مفهوم حقيقة الغنى هو غنى النفس عن كل شيء؛ لأن صاحبه قد استغنى بالقليل وقنع به، ولم يحرص على الزيادة فيه، ولذا عد غنى النفس هو باب من أبواب الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره[٢].

ثانيًا: الليبرالية[٣]الفردية في مقابل العبودية لله ﷻ: فقد جعلت الليبرالية الحديثة السعادة شأنًا فرديًا خالصًا، يقوم على الحرية المطلقة وتحقيق الذات، دون ارتباط بقيم عليا، وأدى ذلك إلى تضخم الأنا، وضعف الانتماء الجماعي، وتآكل المسؤولية الأخلاقية، أما العقيدة في الدين الإسلامي فإنها تحرر الإنسان من العبوديات الزائفة، وتربط سعادته بتحقيق العبودية لله وحده، إذ قال تعالى:﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[٤]، فالانفصال عن الله تعالى يقود إلى الضيق الوجودي، مهما بلغت مظاهر الرفاه، فإن هذه الآية دلت على أن الأعمى في الدنيا عن الاعتبار وإبصار الحق والاستدلال بآيات الله في الكون الدالة

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس: (٨/ ٩٥) برقم (٦٤٤٦) ، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض: (٢/٧٢٦) برقم: (١٠٥١) .

(٢) ينظر: شرح صحيح البخاري، لابن بطال: (١٠/١٦٥) .

(٣) الليبرالية: هي مذهب فكري وسياسي واقتصادي يقوم على تعظيم الحرية الفردية، وحماية الحقوق الشخصية (كالملكية والتعبير)، والمساواة أمام القانون، ترتكز على إيمانها بقدرة الفرد على تحقيق مصلحته الخاصة، وضرورة الحد من تدخل الدولة أو أي سلطة في شؤون الأفراد الشخصية والاقتصادية، مع اعتماد الديمقراطية والتعددية، ومن أبرز خصائص ومبادئ الليبرالية هي الحرية الفردية: محور الفكر الليبرالي، والتي تعني استقلالية الفرد في قراراته، وحياته الشخصية، ومعتقداته، طالما لا يلحق ضرراً بالآخرين.

ينظر: https://ar.wikipedia.org/wiki/ ، في ٢٧/ نوفمبر /٢٠٢٥ .

(٤) سورة طه، الآية: (١٢٤)

على وجوده ووحدانيته هو في الآخرة أعمى، وأضل سبيلا، لا يهتدي إلى طريق النجاة، ولا يجد طريقا إلى الهداية[١].

ثالثًا: الوجودية وصناعة المعنى الذاتي في مقابل الغاية الإلهية: ترى الفلسفة الوجودية أن الإنسان يصنع معنى حياته بنفسه، وأن السعادة تنبع من الاختيار الحر وتحمل المسؤولية. وقد قيل: بأن السعادة تأتي كنتيجة لوجود معنى، غير أن غياب المرجعية الثابتة جعل المعنى نسبيًا ومتقلبًا، مما أوقع كثيرًا من الأفراد في الحيرة الوجودية، أما الدين الإسلامي فيحدد غاية واضحة للحياة كما جاء في قوله تعالى:(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[٢]، فوضوح الغاية يمنح الإنسان استقرارًا نفسيًا ومعنويًا، إذ أن المراد بقوله تعالى في هذه الآية: (وما خلقت الجن والإنس) أي: خلقتهم لأجل أن يعبدوني فمن عبدني أكرمته فتتحقق السعادة للعبد، ومن ترك عبادتي أهنته فتتحقق الشقاوة للعبد[٣] .

رابعا: علم النفس الإيجابي وعزل الروح في مقابل تزكية النفس: إذ ركز علم النفس الإيجابي على تنمية المشاعر الإيجابية والرضا عن الحياة، لكنه أهمل البعد الإيماني، في حين يجعل الدين الإسلامي تزكية النفس أساس السعادة، إذ قال تعالى:(قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا)[٤]، أي: قد فاز من زكى نفسه وأنماها وأعلاها بالتقوى بكل مطلوب وظفر بكل محبوب[٥]، وقال ﷺ:« عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير»[٦]، فإن وجه العجب في عبارة: إن أصابه خير: بأن رزق بالصحة والسلامة، والمال والولد والجاه، فإنه إذا حمد الله وشكر على نعمة الخير ودفع الشر، وإن أصابته مصيبة: أي بلية ومحنة وحمد الله وصبر على حكم ربه واحتسب، فإن مسه بالنعماء عم سرورها، وإن مسه بالضراء أعقبه الأجر[٧].

---

(١) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي: (١٣١/١٥) .

(٢) سورة الذاريات ، الآية: (٥٦) .

(٣) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى الجزائري: (١٧٠/٥) .

(٤) سورة الشمس ، الآية: (٩) .

(٥) ينظر: فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني: (٥٤٧/٥) .

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقاق، باب المؤمن أمره كله خير: (٢٢٩٥/٤) برقم: (٢٩٩٩) .

(٧) ينظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله المباركفوري: (٤٧٤/٥).

ومما تقدم يتبين لي بأن أثر جذور الثقافة المعاصرة بالمفهوم الخاطئ للسعادة على مستوى الفرد بأن يصاب: بهشاشة السعادة، وفقدان المعنى، وتضخم الذات، والقلق والاكتئاب، أما على مستوى المجتمع: فإن مردود ذلك سينعكس على ضعف الروابط الأسرية، وتفكك القيم، وتراجع المسؤولية الأخلاقية، وهذا ما يظهر واضحا اليوم بأن الحداثة السائلة أنتجت إنسانًا قلقًا وعلاقات هشة، وكل ذلك سببه أن الجذور الفلسفية للسعادة المعاصرة قامت على المادية والفردانية، فأفرزت إنسانًا فاقد الطمأنينة رغم الوفرة، بينما يقدم الدين الإسلامي تصورًا عقديًا متكاملًا يربط السعادة بالإيمان والمعنى والرضا، مما يجعلها أعمق وأدوم.

المطلب الثاني

العقيدة الإسلامية وبناء المعنى في حياة الإنسان

يُعدّ المعنى من أهم الحاجات الوجودية للإنسان، إذ لا تستقيم حياته النفسية ولا استقراره الروحي دون إدراك غاية واضحة لوجوده، وقد كشفت الدراسات الحديثة عن أزمة معنى عميقة يعيشها الإنسان المعاصر، رغم التقدم العلمي والمادي، وفي مقابل هذا الفراغ الوجودي، تقدم العقيدة الإسلامية تصورًا متكاملًا لبناء المعنى قائمًا على التوحيد ووضوح الغاية والارتباط بالله وتحقيق الاستخلاف في الأرض، ومفهوم المعنى في منظورها هو إدراك الإنسان لحقيقة وجوده ومعرفته بخالقه ووعيه بوظيفته في الحياة، لقوله تعالى كما مر سابقا:(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[١]، وقد بينا بأن وضوح الغاية يمنح الإنسان استقرارًا نفسيًا ومعنويًا، إذ أن المراد بقوله تعالى في هذه الآية قد خلق الجن والانس للعبادة، فتكون السعادة والإكرام من نصيب العبد الذي عبد خالقه حق عبادته، والشقاوة والإهانة من نصيب من أعرض عن عبادته، وبذلك يتحقق نصيب كل منهما[٢]، ولمزيد من الفائدة سأبين بإيجاز تصور العقيدة الإسلامية في بيان المعنى في حياة الإنسان لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، وهي كالآتي:

أولا: التوحيد أساس بناء المعنى: إذ يقوم بناء المعنى في الإسلام على توحيد الله عز وجل وأنه لا شريك له في الملك، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، فهو بهذا يحرر الإنسان من التعلق بالمخلوق ويمنحه مركزًا ثابتًا للطمأنينة واليقين، وقد جاء عن النبي ﷺ إذ قال: «من مات وهو

---

(١) سورة الذاريات ، الآية: (٥٦) .

(٢) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى الجزائري: (١٧٠/٥) .

يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»[١]، أي: بـ "لا إله إلا الله": وهم يعلمون بقلوبهم ما نطقوا به بألسنتهم[٢]، بأن يكون القائل مستيقنا بمدلول هذه الكلمة يقينا جازما، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا اليقين لا الظن[٣].

ثانيًا: وضوح الغاية والوظيفة الوجودية: وهذا ما قررته العقيدة الإسلامية بأن الإنسان خُلق لهدف، ولم يخلق عبثا، وهو عبادة الله سبحانه وعمارة الأرض، إذ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[٤]،فإن خلق آدم وإكرامه وتفضيله على ملائكته بأن أمرهم بالسجود له، إنعام يعم ذريته[٥]، وقد بينت السنة النبوية مركزية العبودية إذ قال ﷺ: « فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا»[٦]، فالحق هنا كل موجود متحقق، أو ما سيوجد لا محالة، والمراد هنا ما يستحقه الله ﷻ على عباده، ولذلك مما جعله محتما عليهم[٧].

وبهذا يقدم الدين الإسلامي تصورا كاملا لمعنى الحياة، يربط بين الإيمان والعمل والمصير، ويمنح الوجود الإنساني وضوحا غائيا فريدا مقارنة بالتصورات الوضعية والثقافات المعاصرة .

ثالثا: الرضا بالقضاء والقدر وبناء الاستقرار النفسي: فإن الإيمان بالقضاء والقدر مأن كل ما يقع مقدر بحكمة الله سبحانه من أسمى غايات السعادة لكل عبد مؤمن إذ قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب معارج القبول، باب التوحيد / اليقين: (١/ ٩٣) .

(٢) ينظر: الولاء والبراء في الإسلام، محمد بن سعيد بن سالم القحطاني: (٣٠) .

(٣) ينظر: العقيدة في الله، عمر بن سليمان الأشقر: (٢٥٧) .

(٤) سورة البقرة، الآية: (٣٠) .

(٥) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي: (٦٧/١) .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير: (٢٩/٤) برقم: (٢٨٥٦) . .

(٧) ينظر: تحفة الأحوذي ، أبو العلا محمد المباركفورى: (٣٣٥/٧) .

شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾[١]، فإن الإيمان بالقدر مصدر الطمأنينة ورفع القلق والحزن إذ قال تعالى:﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[٢]، فهذه الآية تربط مباشرة بين الإيمان بالقدر وهدى وتقوى القلب مما سيولد الاستقرار النفسي، فمن يصدق بالله سبحانه فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذنه تعالى فبذلك يهد قلبه، أي: يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه[٣]، فإن آمن العبد بأن كل ما يقع عليه بقضاء الخالق سبحانه لإنه سيعيش حالة من الاتزان الدائم، وتحرره من الندم القهري كما جاء في قول النبي ﷺ: « وإن أصابك شيء، فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»[٤]، فإن الإيمان بالقدر والاحتجاج به يأتي لمعالجة المشكل النفسي الذي يذهب الطاقة الإنسانية ويبددها في حال الفشل والإخفاق، ولا يكون مانعاً من العمل والإبداع في مقبل الزمان[٥].

فيتبين من هذا بأن التصور العقدي ليس مبدأ غيبيا مجردا، بل منظومة نفسية متكاملة تبني الإنسان من الداخل، وتغرس فيه الرضا، وتحرره من القلق الوجودي، وتخفف حدة الصدمات، وتمنحه القدرة على التكيف الإيجابي مع أحداث الحياة، فتستقر نفس العبد ويتزن وجدانه ويهدأ قلبه .

رابعا: للعقيدة الإسلامية أثرا كبيرا في مواجهة الفراغ الوجودي المعاصر: إذ تقدم العقيدة الإسلامية علاجًا جذريًا للفراغ عبر وضوح الغاية، وثبات القيم، وربط الحياة بالآخرة، عبر بناء المعنى وتثبيت الهوية، وتحقيق الطمأنينة، فهي تحمي العبد من العبثية واللاجدوى، إذ قال

---

(١) سورة القمر ، الآية: (٤٩) .

(٢) سورة التغابن، الآية: (١١) .

(٣) تفسير الطبري: (١١/٢٣) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله: (٢٠٥٢/٤) برقم: (٢٦٦٤) .

(٥) ينظر: القضاء والقدر، عمر بن سليمان الأشقر: (٩٠) .

تعالى:﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴿١١٥﴾﴾[١]، وقوله تعالى:﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴿٣٦﴾﴾[٢]، فهنا أنكر جل جلاله وعل نواله على من زعم أنه يترك سدى إنكار من جعل في العقل استقباح ذلك، واستهجانه، وأنه لا يليق أن ينسب ذلك إلى أحكم الحاكمين[٣]، وبهذا سيتحرر العبد من القلق والفراغ الداخلي لقوله ﷺ: « من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»[٤]، أي: من تفرغ من هموم الدنيا أقبل قلبه على الله ﷻ بكليته، أي: حبا ومعرفة وخوفا، فدل هذا الإقبال أن يجعل الله ﷻ له محبة ورحمة في قلوب خواص عباده[٥].

وخلاصة الأمر في كل مما سبق يتبين أن العقيدة الإسلامية تبني معنى متكاملًا للحياة، قائمًا على التوحيد والغاية والمسؤولية، فيتحرر الإنسان من العبثية التي أفرزها الفكر المعاصر، ويعيش حياة ذات قيمة، وتؤسس العقيدة الإسلامية تصورا متكاملا لمعنى الوجود الإنساني، فإن الإيمان بالله تعالى يمنح الحياة اتجاها، ويحول المعاناة إلى ابتلاء ذي حكمة، ويملأ الفراغ الوجودي بسكينة روحية ومعنى أخلاقي، وهذا الشيء ما تفقده اليوم النماذج المادية والحديثة رغم تقدمها التقني .

المطلب الثالث

نماذج معاصرة للسعادة الوهمية وتأثرها بالثقافة والتحولات الفكرية المعاصرة

لقد أفرزت التحولات الفكر والثقافية المعاصرة أنماطًا جديدة لما يُسمّى السعادة، غير أن كثيرًا منها لا يتجاوز كونه سعادة وهمية تقوم على الإشباع اللحظي أو التقدير الاجتماعي الزائف أو

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: (١١٥) .

(٢) سورة القيامة، الآية: (٣٦) .

(٣) ينظر: لوامع الأنوار البهية، للسفاريني: (٢٨٥/١) .

(٤) ينظر: سنن ابن ماجة: (١٣٧٥/٢) برقم: (٤١٠٥)، ومسند الإمام أحمد بن حنبل: (٤٦٧/٣٥) برقم: (٣١٥٩٠) .

(٥) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي: (٢٦٠/٣) .

النجاح المادي المجرد، ولذلك سأبين في هذا الجانب بعض النماذج للتمثيل لا الحصر، وهي التي تشعر صاحبها بالسعادة ولكنها بالحقيقة ليست السعادة الحقيقية التي تؤكدها العقيدة الإسلامية، وهي ما يأتي:

أولًا: سعادة الاستهلاك والرفاه المادي: لقد ربطت الثقافة الحديثة المعاصرة السعادة بالامتلاك والقدرة الشرائية، مما ولّد دورة لا تنتهي من الرغبات، وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ: « لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»[(١)]، وهكذا فإن الرغبات لا تقف عند حد أو نهاية، ولو كانت تقف عند حد لكان الوادي من ذهب رزق لا مزيد عليه، ومع ذلك فلو ملكه الإنسان لتمنَّى آخر، ومن لم يفرق بين الحاجات والرغبات تجده دائمًا يعيش في قلق وإحساس بالفقر؛ لظنه أن الرغبات التي تجول بخاطره هي حاجات ضرورية، فيتلهَّف على حصولها ويتأسَّف لعدمه[(٢)].

ثانيًا: سعادة الصورة الرقمية وتضخيم الذات: إذ أنتجت وسائل التواصل نموذجًا للسعادة قائمًا على الإعجابات والمتابعين، مما عمّق النرجسية والقلق الاجتماعي، فهذه ليست السعادة الحقيقية؛ لأن السعادة الرقمية تقوم على الصورة لا على الحقيقة، والمقارنة لا على القناعة، والاستعراض لا على المعنى، والإعجاب لا على السلام الداخلي، فهي لذلك قصيرة الأمد، وتخلف فراغا نفسيا متزايدا، بنما نجد التصور للعقيدة الإسلامية يدعو إلى غير ذلك، إذ قال تعالى:﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾[(٣)]، وتعني: أن لا تنظر بالرغبة إلى ما أعطينا رجالا منهم من زينة الدنيا، كالأموال والأولاد، الغاية منها لفتنهم فيه، ورزق ربك خير وأبقى: تعني جنة ربك في اليوم

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب ما يتقي من فتنة المال: (٩٢/٨) برقم: (٦٤٣٦).

(٢) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي: (١٢٥٠/٢) .

(٣) سورة طه ، الآية: (١٣١) .

الآخر خير من هذه الزينة التي في الدنيا، وأبقى: أي: باقية على الدوام[١]، ولهذا فإن الغنى غنى القلب كما قال النبي ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»[٢].

ثالثًا: سعادة المتعة السريعة والهروب من الألم: سادت ثقافة اللذة الفورية والترفيه المفرط هروبًا من القلق الوجودي، فإن أي إنسان يعتاد على المتعة بسرعة فإنه يحتاج إلى جرعات أكبر ليستشعر الشعور نفسه، وبالتالي النتيجة تكون بأن سيكون في دائرة لا تنتهي من اللهاث خلف اللذة دون سكينة حقيقية، بل أن الهروب من الألم يزيده ولا يزيله، إذ أن تجنب الألم لا يشفيه بل يضاعفه، فالكبت والهروب سينتج عنه القلق المزمن، والفراغ الداخلي، والاكتئاب، وقد يحدث في بعض الأحيان اضطرابات سلوكية، ومقابل ذلك إذا اردنا السعادة الحقيقة لا بد من التركيز على العلاقات ذات المعنى؛ لأنها تعتبر العامل الأول في سعادة حقيقية طويلة الأمد، وليس المال واللذة، إذ أن اللذة الدنيوية ما هي إلا خادعة، فهي متاع مؤقت يخدع صاحبه إذا ظنه سعادة، إذ قال تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴿١٨٥﴾﴾[٣]، فإن العمل لمتاع الدنيا ونسيان الآخرة يعقبه الحسرة والندامة ودخول النيران[٤]، فالعباد يعيشون في هذه الدنيا متفاوتين تفاوتاً عظيماً في الأرزاق، والآجال، والأعمال، وفي السعادة والشقاوة[٥]،

من هذا يتبين بأن السعادة المعاصرة تبنى على المتعة السريعة وإطلاق الشهوة وتجنب الألم، بينما يقابلها التصور العقدي الإسلامي الذي بني السعادة الحقيقية على المعنى والصبر والإيمان وتزكية النفس والقرب من الله تعالى .

رابعًا: سعادة النجاح الفردي والإنجاز المجرد: فإن كثير من الناجحين يعانون فراغا وجوديا؛ لأنهم حققوا كل شيء إلا المعنى، إذ أن الإنجاز حين يفصل عن الغاية والقيم يتحول إلى سباق لا

---

(١) ينظر: بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي: (٤١٧/٢) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الغنى عن النفس: (٩٥/٨) برقم: (٦٤٤٦) .

(٣) سورة آل عمران، من الآية: (١٨٥).

(٤) ينظر: الجنة والنار، عمر بن سليمان الأشقر: (٢٢٨) .

(٥) ينظر: مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي: (٢٢٨).

نهاية له، وقد ثبت أن أصحاب الإنجازات العالية أكثر عرضة للاكتئاب إذا كانت حياتهم خالية من المعنى الروحي والاجتماعي، وقد حذرت بعض نصوص القرآن الكريم من الاغترار بالانجاز الدنيوي، إذ قال تعالى:﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾[١]، فأخبر الله ﷻ أنهم يعقلون أمر دنياهم، ولو أنهم تدبروا وتركوا التقليد والإعجاب بالآراء لعقلوا أمر آخرتهم، كما عقلوا أمر دنياهم حين عنوا بطلب منافعها في العواقب، ودفع مضارها في العواقب[٢]، وقد قال ﷺ: « من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له»[٣]، فإن السعادة القائمة على الإنجاز المجرد تنتج إنسانا متمركزا حول ذاته، قلقا من فقدان النجاح، فارغا روحيا، أسير المقارنة الاجتماعية، بينما العقيدة الإسلامية تربط النجاح بالإيمان، والعمل الصالح، وخدمة الخلق، ورضا الله تعالى، لهذا فإن النجاح الفردي يتحول إلى وهم سعادة، بينما السعادة في التصور العقدي الإسلامي مشروع متكامل المعنى القائم على التزكية والصبر والعطاء والارتباط بالخالق سبحانه وتعالى، وعلى هذا الأساس جعل الخطاب المعاصر النجاح المهني غاية نهائية للسعادة، في حين يربط الإسلام الحياة الطيبة بالإيمان والعمل الصالح.

خامسًا: أثر التحولات الفكرية في إنتاج السعادة الوهمية: إذ أسهمت العلمنة والفردانية والمادية والحداثة السائلة في ترسيخ هذه النماذج، فأنتجت أزمة معنى شاملة؛ لأنها نقلت مركز السعادة من السماء إلى الأرض، فأصبحت السعادة مرتبطة بالاستهلاك، والحرية المطلقة، وتحقيق الذات، واللذة، وهذا ما يسمى بالنزعة الإنسانية المادية، فالتحولات الفكرية المعاصرة قد أفرزت إنسانا بلا مرجعية، وأخلاقا نسبية، وسعادة استهلاكية، وحرية بلا ضوابط، بينما العقيدة الإسلامية تبني السعادة على التوحيد، والاستخلاف، والتزكية، والعبودية الواعية، والمعنى الأخروي، إذ قال تعالى:﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ

(١) سورة الروم، الآية: (٧) .

(٢) ينظر: ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه، الحارث بن أسد المحاسبي: (٢١٥) .

(٣) ينظر: سنن الترمذي: (٦٤٢/٤) برقم: (٢٤٦٥) .

مُّسْتَقِيمٍ﴿٢٢﴾﴾[١]، بمعنى: أفمن يكون مطرقا إلى هوى نفسه بجبلة طبعه بغير هدى من ربه أهدى، ومعنى: أمن يمشي سويا على صراط مستقيم بمعنى: أم من يكون متبعا شرائع الإسلام مقتديا بالنبيين[٢].

وخلاصة الأمر يتبين لي من كل ما سبق والله تعالى أعلم وأحكم بأن كثيرًا من نماذج السعادة المعاصرة ليست سوى أوهام ثقافية عمّقت الفراغ الروحي، بينما تقدم العقيدة الإسلامية تصورًا متوازنًا للسعادة الحقيقية المرتبطة بالمعنى والإيمان.

المطلب الرابع

الحلول والمعالجات لأزمة السعادة المعاصرة في ضوء العقيدة الإسلامية

لقد أثبتت التحولات الفكرية الحديثة أن السعادة حين تُفصل عن الإيمان والغاية الأخروية تتحول إلى وهم استهلاكي، ولذة مؤقتة، وإنجاز فارغ من المعنى، ومن هنا جاءت الحاجة إلى معالجة جذرية تنطلق من العقيدة الإسلامية بوصفها إطارًا كليًا لبناء الإنسان، وإليك الحلول والمعالجات الكفيلة للوصول إلى السعادة الحقيقية، وهي ما يأتي:

أولًا: إعادة مركزية التوحيد في بناء السعادة: فإن التوحيد هو الأساس العقدي للسعادة؛ إذ يحرر الإنسان من العبوديات الزائفة (المال، الشهرة، اللذة، الذات)، إذ قال تعالى: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)[٣]، فالسعادة ليست حالة نفسية عابرة، بل ثمرة ارتباط بالله سبحانه وتعالى، والمعالجة تكون عن طريق ترسيخ معنى العبودية الواعية، وربط النعم بالمنعم لا بالاستهلاك، وتحويل العبادة من طقس إلى أسلوب حياة،

ثانيًا: استعادة المعنى الوجودي للحياة: فإن العقيدة الإسلامية تجيب عن الأسئلة الكبرى: من أنا؟ لماذا أعيش؟ إلى أين المصير؟، فقال تعالى: (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا)[٤]، إذ أن غياب المعنى

---

(١) سورة الملك، الآية: (٢٢) .

(٢) ينظر: تفسير التستري، لأبي محمد سهل التُستري: (٢٢) .

(٣) سورة الرعد، من الآية: (٢٨) .

(٤) سورة الشمس،الآية: (٩) .

هو أصل القلق المعاصر، ومعالجة هذا الأمر تكون عن طريق غرس مفهوم الاستخلاف، وربط العمل بالرسالة، وتوجيه الطاقات لخدمة الغاية الكبرى.

ثالثًا: تزكية النفس بدل تضخيم الذات: فالسعادة الحديثة تقوم على "تحقيق الذات"، بينما الإسلام يقوم على "تزكية النفس"، إذ قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا)[١]، فإن المعالجة لهذا الأمر تكون عن طريق محاسبة النفس، وتهذيب الشهوات، وتقوية الإرادة الإيمانية، وتدريب النفس على الصبر والقناعة.

رابعًا: إعادة تعريف النجاح: فالنجاح في الإسلام ليس إنجازًا فرديًا مجردًا، بل توازن بين: الإيمان، والعمل الصالح، والأخلاق، والنفع الاجتماعي، إذ قال تعالى:﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[٢]، والمعالجة تكون عن طريق تصحيح مفهوم التفوق، وربط الإنجاز بالنية، وتعزيز قيمة العطاء.

خامسًا: بناء السكينة بدل مطاردة اللذة: فإن اللذة سريعة الزوال، أما السكينة فثمرة الرضا بالله تعالى ، إذ قال ﷺ: «اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»[٣]، فإن من قنع بما قسم له ولم يطمع فيما في أيدي الناس استغنى عنهم ليس الغنى بكثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس[٤]، والمعالجة لهذا الأمر تكون عن طريق تربية القلب على الرضا، وتقليل التعلق بالماديات، وإحياء قيمة القناعة.

سادسًا: المعالجة الإيمانية للألم والابتلاء: فإن العقيدة الإسلامية لا تلغي الألم بل تعطيه معنى، إذ قال تعالى: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)[٥]، والمعالجة لهذا الأمر تكون عن طريق فهم سنة الابتلاء، وتحويل الألم إلى قرب من الله سبحانه، وبناء المرونة النفسية بالإيمان.

---

(١) سورة المؤمنون،الآية: (١١٥) .

(٢) سورة العصر،الآيات: (١-٣) .

(٣) ينظر: سنن الترمذي: (٥٥١/٤) برقم: (٢٣٠٥) . .

(٤) سورة البقرة، من الآية: (١٥٥) .

(٥) ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي: (٢٧/١) .

سابعًا: تقوية الروابط الاجتماعية والرحمة الإنسانية: إذ أن الفردانية الحديثة عمّقت العزلة، بينما العقيدة الإسلامية تؤسس مجتمع التراحم، إذ قال ﷺ: " مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد..."[١]، ومعنى هذا الحديث صريح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه[٢]، والمعالجة لهذا الأمر تكون عن طريق إحياء مفهوم الجماعة، وتعزيز صلة الرحم، ونشر ثقافة التكافل.

ثامنًا: التربية العقدية الوقائية: فإن السعادة في ضوء العقيدة الإسلامية لا تُبنى بالعلاج فقط، بل بالوقاية عن طريق تربية الأبناء على الإيمان، وتحصين الشباب فكريًا، وتصحيح مفاهيم الحرية والكرامة، وربط الأخلاق بالعقيدة.

وخلاصة الأمر لكل ما تقدم والله تعالى أعلم وأحكم بان السعادة المعاصرة أزمة فكرية قبل أن تكون نفسية، ولا تُعالج إلا بإعادة الإنسان إلى ربه سبحانه وتعالى، وفطرته، وغايته، وقيمه، إذ قال تعالى: (فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى)[٣] .

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمه تتم الصالحات وبكرمه ينعم الإنسان بالسعادة في الدنيا والآخرة، والصلاة والسلام على من بعثه الله ﷻ رحمة، وختم به النبوة سيدنا محمد، وعلى آل بيته الطاهرين، وصحبه الكرام، وسلم تسليما كثيرا... وبعد ...

فبعد هذه الدراسة الدقيقة في موضوع أزمة السعادة وأثر العقيدة الإسلامية على تحقيقها، لا بد لي من عرض أبرز نتائج البحث وهي كالآتي:

أولا: لقد تبين من الدراسة بأن خلاصة مفهوم السعادة هي نسق متكامل ومترابط يجمع بين اللذات الحسية، والرضا العقلي، والطمانينة الروحية، وأتباع العقيدة السليمة .

ثانيا: لقد خلصت الدراسة إلى حقيقة جليلة وهي أن للعقيدة الإسلامية أثر كبير على تحقيق السعادة للعبد المؤمن، وبدونها سيعيش الإنسان في ظل السعادة الوهمية.

---

(١) ينظر: صحيح مسلم: (١٩٩٩/٤) برقم: (٢٥٨٦) .

(٢) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا النووي: (١٣٩/١٦).

(٣) سورة طه ، الآية: (١٢٣) .

ثالثا: لقد أظهر البحث بأن كل إنسان يدور بين السعادة والشقاوة، فأن تحصن بالإيمان بالله تعالى والرضا بالقضاء والقدر فإنه قد نال السعادة الحقيقية الدنيوية المؤقتة، والسعادة الأخروية الدائمة، والعكس من ذلك فإن الشقاوة نصيبه ومصيره في الدنيا والآخرة.

رابعا: لقد تبين مما سبق بأن سعادة كل إنسان لا تكون إلا بعد تهذيب النفس باجتناب الرذائل والفواحش وملذات الدنيا وتزكيتها عنها، واكتساب الفضائل والطاعات والتحلي بها في كل وقت وحين .

خامسا: لقد أظهرت الدراسة بأن التصور الإسلامي يعتبر أن العقيدة هي الأساس، والسعادة هي الثمرة، فكلما صحّت العقيدة، استقامت النفس، وهدأ القلب، واستقرت الحياة، وبالتالي يكون الإنسان اسعد الناس في الدنيا والآخرة .

سادسا: تبين لي بأن أزمة السعادة بسبب جذور الثقافة المعاصرة بالمفهوم الخاطئ للسعادة على مستوى الفرد، ولهذا نجده يصاب بفقدان المعنى، وتضخم الذات، والقلق والاكتئاب والألم، وعلى مستوى المجتمع: سينعكس على ضعف الروابط الأسرية، وتفكك القيم، وتراجع المسؤولية الأخلاقية، وكل ذلك سببه الجذور الفلسفية للسعادة المعاصرة التي قامت على المادية والفردانية، فأفرزت إنسانًا فاقد الطمأنينة رغم الوفرة، بينما نجد أن الدين الإسلامي يقدم تصورًا عقديًا متكاملًا يربط السعادة بالإيمان والمعنى والرضا، مما يجعلها أعمق وأدوم.

سابعا: وقد تبين لنا بأن العقيدة الإسلامية هي من تبني معنى متكاملًا للحياة؛ لأنها قائمة على التوحيد والغاية والمسؤولية، فبموجبه يتحرر الإنسان من العبثية التي أفرزها الفكر المعاصر، ويعيش حياة ذات قيمة، إذ العقيدة الإسلامية تؤسس تصورا متكاملا لمعنى الوجود الإنساني، وتحول المعاناة إلى ابتلاء ذي حكمة، وتملأ الفراغ الوجودي بسكينة روحية ومعنى أخلاقي.

ثامنا: وكذلك تبين في الرد على بعض من نماذج السعادة المعاصرة بأنها ليست سوى أوهام ثقافية متأثرة بالتحولات الفكرية الضالة والتي بدورها قد عمّقت الفراغ الروحي للبعض، ولا نجاة من ذلك إلى بالرجوع إلى أسس العقيدة الإسلامية فإنها تقدم لكل إنسان تصورًا متوازنًا للسعادة الحقيقية، ومرتبطة في نفس الوقت بالمعنى والإيمان، فإن السعادة المعاصرة أزمة فكرية قبل أن تكون نفسية، ولا تُعالج إلا بإعادة الإنسان إلى ربه سبحانه وتعالى.

المصادر والمراجع

- **بعد القرآن الكريم:**

١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، البيضاوي (ت: ٦٨٥ هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/١، سنة ١٤١٨ ه .

٢- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر،أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط/٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٣- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ)، د.ت.

٤- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥ هـ)،المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، د.ت .

٥- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت: ١٣٥٣ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت.

٦- تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت: ٢٨٣ هـ)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: منشورات محمد علي بيضون / دارالكتب العلمية – بيروت،ط/١، ١٤٢٣ ه .

٧- تفسير الراغب، أبو القاسم، الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى:(ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د.عادل بن علي الشِّدِي ، دار النشر: دار الوطن– الرياض،ط/١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٨- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن=، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط/١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .

٩- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط/١، ١٤١٩ هـ .

١٠- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، ط/٢ ، ١٤١٨ هـ .

١١- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط/١ ، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

١٢- التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ط/٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

١٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه(صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر،الناشر: دار طوق النجاة، ط/١، ١٤٢٢هـ .

١٤- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة،ط/٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

١٥- الجنة والنار، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط/٧، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .

١٦- سنن ابن ماجه ، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت.

١٧- شرح صحيح البخاري، ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف(ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط/٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .

١٨- شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت:٧٩٣هـ)، الناشر: دار المعارف النعمانية – باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

١٩- العقيدة في الله، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الثانية عشر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

٢٠- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط/١، ١٤١٤ هـ .

٢١- فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر،ط/١، ١٣٥٦ .

٢٢- القضاء والقدر، عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة: الثالثة عشر، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م .

٢٣- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، د. ت .

٢٤- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط/٣ - ١٤١٤ هـ .

٢٥- ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله (ت:٢٤٣هـ)، المحقق: حسين القوتلي، الناشر: دار الكندي ، دار الفكر – بيروت، ط/٢، ١٣٩٨.

٢٦- مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي عايض حسن الشيخ، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

٢٧- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٢٨- المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د. غالب بن علي عواجي،الناشر:المكتبة العصرية الذهبية-جدة،ط/١،١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٩- مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله المباركفوري (ت: ١٤١٤ هـ)، الناشر: إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، بنارس الهند، ط/٣،١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.

٣٠- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت.

٣١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل(ت:٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط-عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط/١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .

٣٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) ، الناشر: دار الدعوة، د. ت .

٣٣- معجم مقاييس اللغة، أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكرياء،(ت: ٣٩٥هـ)،المحقق: عبد السلام محمد هارون،الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٤- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير=، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين،الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ .

٣٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي/بيروت،ط/٢، ١٣٩٢ هـ .

٣٦- المواقف، عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي (ت:٧٥٦هـ)،المحقق: عبد الرحمن عميرة، الناشر: دار الجيل - لبنان – بيروت، ط/١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٧- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت:١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.